رسالة مختصرة بعنوان:

تحصين توحيدك بمعرفة دليلك

والرد على شبهات أهل الإرجاء

الراجي عفو ربه

د. عبد الله القرشي الشامي

1437هـ

وقف لله تعالى

المقدمة :

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

سوف تكون المقدمة طويلة قبل الشروع في الرسالة ، لكن لا بد من ذلك إذ المقدمة هي الباب والدعامة لما سنتكلم عنه فاصبر وما يأتي قبل الموضوع فاحفظه واعتنِ به عناية فائقة فإذا فهمته أولاً ثم حفظته ثانياً فأرجو الله أنك تسير إلى تحصين توحيدك بمعرفة دليلك .

أخي المسلم الموحد : عليك تحصين توحيدك بمعرفة دليلك إذ الفتن كالسيول في هذه الأيام ، وقلما تجد من سلم من الإرجاء والتجهم ، وشبهاتهم تُحير فلا تك جاهلا فتهلك وتذكر دائماً أمر الله تعالى: *فاعلم أنه لا إله إلا الله* / سورة محمد / وهو أمر لنا بفهم هذه الكلمة وما تدل عليه ، وما تنفيه ، فتعلم عندئذ تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

فإذا غفلت عن تحصين توحيدك بمعرفة دليلك فأنت عُرضة لشبهات القوم تلقيك شبهة ، وتتلقفك أخرى.

وإعلم اخي المسلم أن الدليل: مأخوذ من الدلالة والدلالة هي الإرشاد والتبيان , فالدليل هو الذي يرشدك إلى المطلوب ، والدليل طمأنينة فعليك إذا أردت تحصين توحيدك بمعرفة دليلك أن تفرق بين الدليل وبين الشبهة ، فإذا لم تفرق بين هذين فأنت في خطر عظيم فتنبه...

يجب أن تفهم جيدا **أن الله أخبر في القرآن أنه أنزل آيات محكمات وأخرى متشابهات** فإذا وفقك الله للتفرقة بينهما وُفقت إلى تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

إذا أخبر ربنا أن الآيات التي يعنيها *متشابهات* فاعلم أنها تحتاج إلى علم لفهمها إذ من وصفها بهذا هو الخبير ومعنى أن بعض الآيات *متشابهات* هو أن معناها يحتمل أكثر من وجه ،وقد جعلها الله في كتابه ليختبر عباده .

فإذا قرأها الذي في قلبه زيغ طار بها وفرح، وترك المحكمات من الآيات ولو سأل أهل العلم لأخبروه بأن هذه شبهة.

والمحكم: هو الذي اتضح معناه ولم يحتمل معنى آخر فاعرفه واصطحبه معك تنجُ بإذن الله .

وخذ مثالا سهلا يبين لك المراد من المحكم في تحصين توحيدك بمعرفة دليلك من المتشابه لتكن على بينة فلا تضل السبيل .

كرر الله تعالى في كتابه أنه فوق السماء السابعة ، وإذا تكرر الشيء في القرآن دل على أنه من المحكم فأعضض عليه .

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى عن الملائكة: (يخافون ربهم من فوقهم) ، فهو تعالى فوق الملائكة وليس في الأرض.

وقال تعالى: (أأمنتم مَن في السماء) ، أي: هل أمنتم الذي في السماء ، فالله فوق السموات وليس في الأرض.

وقال عن عيسى: (بل رفعه الله إليه) ، فلو كان في الأرض فما الحاجة إلى أن يرفعه؟ ، وقد رآه الرسول في السماء في رحلة الاسراء والمعراج .

وقال تعالى: (هو الذي أنزل الكتاب)، والإنزال يكون من أعلى إلى أسفل ، ومثل هذا كثير جدا فلا تفرط فيه . حتى قال ابن القيم: إن في القرآن ألف آية تدل على ذلك........فتنبه

ما سبق مثال محكم من القرآن ،والدليل على أنه من المحكم هو التكرار ،لكن تنبه ليس بشرط أن يتكرر ليكون محكما , فإذا عرفت المحكم في مسألة العلو ، فاعلم أن الله قد جعل متشابها في نفس المسألة , فمما ورد من المتشابه في هذا قوله تعالى: **(وهو الله في السموات وفي الأرض)** ، وإياك أن تأخذ ظاهر هذا وتترك المحكم .

وسل عن معنى الآية مع جزمك أن المحكم لا يتغير أبدا ، فقل: لا تدل هذه الآية قطعا على ظاهرها وسوف تنال بالعلم تحصين توحيدك بمعرفة دليلك بإذن الله.

فإذا سألت عن معنى المتشابه فلك حالان من الحق ، وأما الحالة الثالثة فهي من الباطل فاجتنبها كما تجتنب الأسد .

فأما الحالة الأولى : فهي أن تجد من يخبرك بأن معنى الآية كما تقول: هذا اسمه زيد في الشام وفي العراق ، فمعنى الآية السابقة يكون : وهو الذي يسميه عباده في السموات *الله* ويسميه عباده في الأرض *الله*

وأما الحالة الثانية: أن لا تجد من يخبرك فقل: الله أعلم بمعنى المتشابه لكنه لا يخالف المحكم أبدا، وأنت تكون بذلك في منزلة تحصين توحيدك بمعرفة دليلك .

وأما الحالة الثالثة: فهي الباطل نعوذ بالله من الباطل ، وتعَوَّذ بالله من ترك الحق واتباع الباطل كأن تأخذ هذه الآية وتترك المحكم وتقول: هذه دليل على أن الله في الأرض فإذا فعلت ذلك فقد فقدت تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

وهذا حال كثير من الناس في هذه الأيام في كثير من مسائل العقيدة ، نسأل الله العافية من ذلك لنا ولكم آمين يا رب ..

ولعل هذه المقدمة إن شاء الله تكون هادية لي أولا ولك ثانيا في إيضاح السبيل إلى تحصين توحيدك بمعرفة دليلك فيما يأتي إن شاء الله.

وسوف أتعرض لبعض المسائل المبنية على المقدمة السابقة مما خالف فيه أهل الباطل فكن معي نسعى معاً في تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

ومن أهم هذه المسائل والتي يتم تداولها كثيرا هي :

هل كل من قال: *لا إله إلا الله* يُعتبر مسلما ولو عمل ما عمل من المعاصي، أو لم يعمل خيرا قط؟ نبحث هذا إن شاء الله .

سبق أنه لبحث أي مسألة شرعية لا بد من النظر في الأدلة المحكمة وتقديمها على المتشابه إن وُجد، وهذه مسألة أشكلت على كثير من الناس ، ولو سعيت حق السعي في تحصين توحيدك بمعرفة دليلك فالظن بالله تعالى أنه يوفقك إلى الحق في هذا *ويهدي إليه من ينيب*

ولبحث المسائل الشرعية فعليك أن تنظر:

أولا: **في القرآن: إذ قال الله** *فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول* وذلك يساعدك في تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

وثانيا: في السنة الصحيحة : لكي تحرص على تحصين توحيدك بمعرفة دليلك .

طريقة البحث : البحث يكون على النحو التالي: تبدأ بجمع الآيات التي تتحدث عن المسألة وتجمع أقوال أهل العلم في تفسيرها ، وتستخرج منها حكما ، مع اصطحاب أن الله أمرنا بتقديم المحكم على المتشابه فذلك تحصين توحيدك بمعرفة دليلك.

ثم تجمع الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن نفس المسألة مع مراعاة فهم السلف الصالح وتفسيرهم لها.

والآن لنطبق ما قلناه و لنبدأ بالنظر في الآيات التي تناولت موضوع رسالتنا ، والله نسأل التوفيقَ والرشاد ،

وكما ذكرنا فإن موضوعنا هو :

هل كل من قال: *لا إله إلا الله* يُعتبر مسلما ولو عمل ما عمل من المعاصي، أو لم يعمل خيرا قط؟ نبحث هذا إن شاء الله .

الأدلة من القرآن :

الآية الأولى:

قال تعالى: *ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأؤلئك لهم الدرجات العلى* ، وهنا لا بد أن ننبه إلى شيء هام وهو: ليس كل من ذكر آية أو حديثا يكون قد استدل استدلالا شرعيا صحيحا ، بل هناك شيء زائد على ذلك يجب أن تعرفه لتنال المنفعة وهذا الشيء هو ما يسمى بوجه الاستدلال، بمعنى: لمَ وضعتَ هذه الآية أو الحديث كدليل على تلك المسألة فإن فهمت هذا فهو تحصين توحيدك بمعرفة دليلك فوجه الاستدلال من الآية التي ذكرتها كالتالي: *مَنْ* في اللغة هو اسم شرط ، وهنا لا مفر من بيان معنى الشرط ...

الشرط: تعليق أمر على آخر

مثل: مَن جاءك راكبا فادفع إليه هذا المال، فأنت علقتَ دفع المال على المجيء راكبا فإذا جاءك ماشيا فلا تدفع المال إليه لأن الشرط تعليق أمر على آخر ونحن علقنا دفع المال على وصفين: المجيء، والركوب.

طبق هذا على الآية المذكورة **لأن القرآن *بلسان عربي مبين*** فنحن مطالبون لفهم القرآن أن نفهم لغة العرب ..نعود للآية :

ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات

هذا يسمى(يأته): فعل الشرط

وهو ما يساوي قولنا في المثال: *من جاءك راكبا* ، تدبر وافهم يا مسلم .

وفعل الشرط لم يكن مطلقا بمعنى أنه لم يكن *ومن يأته* فقط ، ولا كان *ومن يأته مؤمنا*

لا...بل كان مقيدا بقيد آخر وهذا القيد هو قوله *قد عمل الصالحات*.....,, انتبه ولا تشرد بذهنك يا اخي .

فمن جاء ربه مصدقا بأنه رب العالمين ، ولكن **لم يعمل** لم ينل الدرجات العلى ، فمن اعتبر شرطا دون الآخر فهو تَحكُم ، لأن الله تعالى ذكر وصفين ، وقد ذكرهما على سبيل الشرطية ، وجواب الشرط لا يتحقق أبدا إلا إذا تحقق فعل الشرط بتمامه ، وأكرر هذه لأهميتها: **إلا إذا تحقق فعل الشرط بتمامه.**

فمن قال من أهل الجهل والضلال: إن الله اعتبر إسلام من أسلم بمجرد قول لا إله إلا الله فقد كذَّب القرآن

تابع معي وركز حتى تفهم النقاط جيداً .

الآية الثانية:

قال تعالى :*إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم*

وجه الاستدلال: *إنما* أداة للحصر والقصر ، ومعناه : إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما عداه

قال السيوطي: للحصر قال الأكثرون *إنما* ****** وألحق الزمخشري *أنما*

احفظ هذا التعريف ، فإذا قال لك قائل: الزكاة تُصرف في كل أبواب الخير بلا استثناء تجيبه أن الله حصرها بقوله : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين...الى اخر الآية) ، وتقول: هذا حصر لأهل الزكاة ، لأن في الآية *إنما*

وفي الآية: قدم الله تعالى كلمة *إنما* قبل الكلام ، ومعناه: المؤمنون هم المذكورون هنا ومن خالف فلم يكتمل إيمانه ، ولم يكتفِ الله تعالى من الناس في الآية بلفظ لا إله إلا الله بل اشترط العمل أيضا وأين اشتراط العمل في الآية؟؟؟ لأنه حصر المؤمنين في الأوصاف المذكورة وأدخل الجهاد ، والجهاد من أعمال الجوارح ، ولم يقل: المؤمنون هم من تكلم بالشهادة فقط ، وهذا يدل على أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بالعمل ، وتدل على أن العمل من الإيمان ، ويجب أن يعي المسلم هذا جيدا وجعل لا إله إلا الله عاصمة لقائلها دون العمل بها هو قول **الجهمية والمرجئة** ومن وافقهما ، فافهم هذا جيدا.

الآية الثالثة:

قال تعالى : *إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا*

وجه الاستدلال: ما قيل في *إنما* هناك يقال هنا بعينه: حصر الله تعالى الإيمان على الموصوفين بالأعمال المذكورة ولم يقل: المؤمنون هم من صدَّق بالله ، وبرسوله فقط ، بل اشترط العمل أيضا بل أدخل سبحانه أنواع الأعمال كلها وبيان هذا كالتالي:

وجلت قلوبهم : هذا من أعمال القلوب

الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم: من أعمال الجوارح.

فمن قال:

إن الله اشترط اللفظ دون العمل فقد كذب القرآن ، لأن الآية واضحة الدلالة في أن الإيمان قول وعمل وليس هو فقط ما يجري على اللسان من التصديق والنطق بالشهادة ، بل العمل من الإيمان .

هذا وقد جمع الله تعالى بين العمل والإيمان في القرآن في مواضع بالعشرات وفي دلالة واضحة على أن بينهما تلازما كبيرا ,فمن هذا

قوله تعالى :*إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات*

وقوله تعالى: *فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه*

وقوله تعالى : *ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما*

وقوله تعالى : *وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات*

وقوله تعالى: *من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة*

فأنت ترى أن الله لا يذكر الإيمان إلا ذكر العمل معه وذلك لأن الإيمان لا يصح إلا بالعمل فذكره تنبيها لذلك فإذا قال قائل: إنما تستدل بدلالة الاقتران وهي ضعيفة.

فالجواب:

دلالة الاقتران على رأي الجمهور ضعيفة، وإذا سلمنا بضعفها فليست هي ضعيفة في كل موضع ، ثم نحن لم نستدل بها فقط بل قدمنا ما يدل على اشتراط العمل لصحة الإيمان في الآيتين الأُوليين ودلالتهما واضحة بينة ، فإذا ضممنا هذه الدلالة لدلالة الاقتران قويت , ثم إن تصريح الله بالعمل دائما إذا ذكر الإيمان لابد له من دلالة وهذا التكرار دليل على الارتباط والتلازم بينهما.

الأدلة من السنة النبوية :

هل تختلف دلالة السنة عن دلالة القرآن في هذه المسالة؟ إليك بعض الأحاديث النبوية التي تبين المسألة:

الحديث الاول :

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دماء هم وأموالهم ، إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله تعالى . رواه البخاري ومسلم.

وجه الاستدلال:

حتى تسمى *غائية* ، ومعنى هذا: كقولك: اضرب زيدا حتى يواظب على الصلاة ، فأنت تأمر هنا بأن نضرب زيدا *لغاية* وهي أن يواظب على الصلاة, فالمواظبة على الصلاة هي الغاية التي نقف عندها .

وكذلك الحديث: فالله أمر رسوله أن يجاهد الناس على الإسلام ، ويستمر القتال إلى غاية ، وهذه الغاية مُصرح بها في الحديث وهي الشهادة والصلاة فلم يكتفِ بالشهادة فقط وهذا الحديث فيه زيادة على الأحاديث المطلقة فنقيدها بهذا , فمن اكتفى بقول لا إله إلا الله فقد أخذ بعض النص فقط وهذا مخالف للحديث .

الحديث الثاني:

سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ(أبو بحر البصري) أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا يُحَرِّمُ دَمَ العَبْدِ وَمَالَهُ؟ فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المُسْلِمِ.

وجه الاستدلال:

إذا كنت تذكر : مَن: اسم شرط

والشرط : تعليق أمر على آخر ,ما الذي عُلق على الثاني؟

فعل الشرط: *شهد ، استقبل ، صلى ، أكل*

فعل الشرط : شهد والباقي معطوف عليه فهو داخل فيه وجواب الشرط هو:*فهو المسلم*ودلالة الحديث بينة كالشمس في أن الرسول لم يكتفِ من الناس بالشهادة فقط ،ولا أمره ربه بإيقاف الجهاد إذا قالوها بل اشترط العمل مع الإيمان.

الحديث الثالث:

حديث مرفوع حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ ، قَالَ : أَنْبَأَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ , عَنْأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ رَجُلا ، قَالَ : يَا رَسُولُ اللَّهِ ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : قَالُوا : مَا لَهُ ، مَا لَهُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرَبٌّ مَا لَهُ ، تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ "

وجه الاستدلال:

أن الرسول لم يجعل دخول الجنة مبني على الشهادة فقط بل ذكر بعض الأعمال أيضا تنبيها على أن العمل من الإيمان

وفي حديث آخر رجل آخر يسأل النبي فكان الجواب:*اعبد الله لا تشرك به شيئا وأقم الصلاة وأد الزكاة وصم رمضان* ووجه الاستدلال هو بعينه ما ورد في الحديث السابق.

الحديث الرابع:

عن بشير بن الخصاصية قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لا بايعه فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة وأن أؤدي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم شهر رمضان وأن أجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله أما اثنتين فو الله لا أطيقهما الجهاد والصدقة فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت تلك جشمت نفسي وكرهت الموت والصدقة فو الله مالي إلا غنيمة وعشر ذُودٍ هنّ رسل أهلي وحمولتهن قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذا قلت يا رسول الله أبايعك فبايعته عليهن كلهن .قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط واللفظ للطبراني ورجال أحمد موثقون.. وضعفه الألباني.

وجه الاستدلال:

أن الرسول قبض يده وامتنع عن بيعة الرجل لأنه اعتذر عن أمور في البيعة ، بل قال له كلاما صريحا: فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة!! والحديث واضح الدلالة لمن أراد الحق في أن الرسول لم يكن يبايع على مجرد لفظ وأن الإيمان والعمل لا يفترقان أبدا.

وغير هذا من الأحاديث الكثيرة التي تدل على أن العمل من الإيمان ، وأن الشهادة لا تنفع قائلها حتى يجمع إليها ما دلت عليه من الانقياد لشرع الله والعمل بما جاءت به لا إله إلا الله .

وسوف أذكر الشبهات التي شوشوا بها على الناس وأطمع أن يعينني الله في الإجابة عليها وقد حاولت أن أجعل الكلام السابق سهلا للقارئ

نقف مع شبهات الجهمية والمرجئة التي يشوشون بها في مسألة الإيمان وبإذن الله نطأ بخيل السنة رقاب البدعة فنكسرها.

قبل البدء أرجوا إعادة قراءة المقدمة، وما بعدها فإنها مفتاح لما سيأتي وقد جاء فيها بيان لطريقة البحث تقديما وتأخيرا..

لماذا سُموا بالجهمية، والمرجئة؟ ما هي عقيدتهم؟ لماذا نسمي ما يستدلون به شبهات ؟

الجهمية: يُنسبون لرجل خبيث هو الجَهْم بن صفوان ولا داعي للإطالة بذكر قصته ومن أين أخذ مقالته، وكيف.

وأما المرجئة: فهم لا ينسبون لشخص، ولكن اسمهم مأخوذ من كلمة *إرجاء* والإرجاء في اللغة هو التأخير

كقوله تعالى: *وآخرون مرجون لأمر الله* أي أخرهم الله ليحكم فيهم بخلاف من سبق في الآيات التي تقدمت هذا.

وكقوله تعالى : *أرجه وأخاه* وهذه قالها جلساء فرعون لما سألهم عن مشورتهم في موسى فقالوا: لا تحكم فيه الآن ولكن أخره حتى نجمع له السحرة .

فسمى السلف الصالح المرجئة بهذا الاسم لأنهم أخروا العمل على الإيمان ، **وأما عن دينهم الخبيث الفاسد فهو كالتالي:**

سبق أن الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان (القلب) وعمل بالجوارح والأركان ، فالمؤمن عند أهل الحق هو:

من اعتقد بقلبه صدق النبي، وما جاء به، ونطق بلسانه –الشهادتان–،وعمل بجوارحه وانقاد للشهادتين ،وغير ذلك ليس بمسلم

وأما الجهمية: فالإيمان عندهم هو مجرد معرفة قلبية وإن لم يكن هناك قول ولا عمل وهذا المذهب من أفسد المذاهب التي حدثت بعد عصر النبوة ، حتى قال بعضهم: لقد جاءوا بشيء لم يستطعه إبليس نفسه!!!

المرجئة : هذه الفرقة أخرجت العمل عن مسمى الايمان فقالو : من حصل له حقيقة التصديق فسواء أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي فتصديقه باق على حاله ,ولا تغير فيه اصلا , ومنهم غلاة المرجئة ويسمون بالمرجئة الكرامية وهم يقولون أن الايمان هو الاقرار باللسان فقط .

وهناك المرجئة الماتريدية : وهم يقولون ان قول اللسان ركن زائد ليس بأصلي وهو شرط فقط لاجراء الاحكام الدنيوية وأخرجو العمل ايضا من مسمى الايمان حتى قالوا : ومن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو كافر عندنا واما عند الله تعالى فهو مؤمن من اهل الجنة ,وهم يتوافقون مع الاشاعرة في امور كثيرة .

وأما لماذا نسمي ما يستدلون به شبهات، لا أدلة ،فهذا تفهمه إذا راجعت ما سبق قبل هذا الكلام ،ونزيد هنا بعض الإيضاح سبق أن الدليل ما لم يكن محتملا، وخلا عن المعارض, ولأننا لو سمينا ما شوشوا به أدلة فمعناه أننا نقر بأنها حجة..

الشبهة الأولى:

قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق ، والقرآن بلسان عربي ودعموا ذلك بما حكاه الله عن إخوة يوسف:

وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين

وأكثر أهل العلم يجيبونهم بمناقشتهم في هذا، وأن التصديق لا يساوي الإيمان اللغوي من كل وجه ، ولكن دعنا نسلم بهذا حتى إذا سلمنا بأن الإيمان في اللغة مساوٍ للتصديق من كل وجه، فأنتم مطالبون بأمر لا تستطيعون القيام به أبدا، وهو: إذا حان وقت الصلاة فلا تركع ، ولا تسجد ، وارفع يديك وادعُ بأي دعاء وقل: الصلاة في اللغة هي الدعاء وأنا دعوت وسوف يقول مضطرا: الصلاة في اللغة هي الدعاء ولكن الشرع جاء بمعنى شرعي للصلاة والمعنى الشرعي مقدم على اللغوي.

وهذا جوابنا أيضا:

الإيمان – إذا سلمنا– هو التصديق المطلق ، ولكن كتاب ربنا ، وسنة نبينا جاءا بمعنى شرعي للإيمان وسبق بيانه في المقدمة ، وتبين لنا من الأدلة الشرعية أن الإيمان ليس مجرد تصديق القلب واللسان فقط ، بل لم يعتبر الشرع الإيمان من أحد حتى يجمع العمل مع التصديق والنطق فهل نترك النصوص الشرعية ونتبع اللغة؟ إن فعلت فأنت ضال...فتنبه .

الشبهة الثانية:

قالوا العطف يقتضي المغايرة، والعمل يُعطف على الإيمان في القرآن وهذا يدل أن العمل غير الإيمان!! يجب فهم القاعدة أولا ثم الإجابة عن هذا الغباء الذي وقعوا فيه المغايرة بمعنى المخالفة ، وهذا يتضح بالمثال: إذا قلت في اللغة: جاء زيد وعمرو فأنت وضعت حرف العطف *الواو* بين *زيد* ، *وعمرو* وحروف العطف تقتضي المغايرة يعني: الذي جاء اثنان، وليس واحدا ، وهما ليسا متحدين فلا يصح قولك: جاء زيد وزيد ، ويكون الكلام على شخص واحد !!

فهم يستدلون بأن الله يكرر: *الذين ءامنوا وعملوا الصالحات* وعطف العمل على الإيمان وهذا كقولك: جاء زيد وعمرو فهما شيئان متغايران لأن العطف يقتضي المغايرة.

والجواب عن الشبهة بأن نقول: للعطف أحوال في اللغة، وليس حالا واحدا وتجنبا للإطالة نلزمكم بلازم فإذا التزمتوه فكلامكم صواب.

واللازم هو: جبريل وميكائيل ليسا من الملائكة ، وتقولون: النخل والرمان ليسا من الفاكهة وذلك لأن الله يقول:

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وأنت ترى أن الله تعالى عطف *جبريل* *وميكال* بعد قوله: *وملائكته* فهل هذا لأن جبريل وميكال ليسا من الملائكة؟ لا قطعاً..

بل لأن الآية نزلت سببا لقصة ،وكان جبريل وميكال طرفا في القصة ،فأجاب الله اليهود بذلك ، ونص عليهما نصا مع أنهما من الملائكة، وسيدخلان قطعا في قوله *وملائكته*،لكنه نص على اسميهما للعلة التي ذكرت.

وأما النخل والرمان: فإن الله يقول: *فيهما فاكهة ونخل ورمان* وعلى قولكم: فالنخل والرمان معطوفان على كلمة *فاكهة* ، والعطف للمغايرة فالنتيجة أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة وهذا لا يصح أبدا ولكن من شأن العرب أنها إذا اهتمت بشيء وكان له شرف ورفعة أفردوه بالذكر وإن كان داخلا فيما سبق والنخل والرمان من أشرف الفاكهة عند العرب فكلمهم الله بما يفهمون..

ومثل هذا قوله تعالى: *حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى* فأَمْرُه تعالى بالمحافظة على الصلوات يشمل كل صلاة والصلاة الوسطى هي العصر وهي صلاة من الصلوات لكن عطفها على الصلاة لعظم شأنها ، ولأنها تكون في وقت يحتاج المرء فيه للراحة والسكون ، وهي عرضة للضياع ، فلذلك عطفها بعد اللفظ العام ... والله المستعان.

الشبهة الثالثة:

قالوا نقر بأن العمل شرط في صحة الإيمان ،لكن العمل المقصود هو النطق بالشهادة ،فمن نطق بها فقد عمل

والجواب:

أن قوله: *ومما رزقناهم ينفقون* هو عمل بالجوارح وليس باللسان ، وجاء بعدها: *أولئك هم المؤمنون حقا* وهذا واضح بين لمن أراد الحق أنه عمل بالجوارح ، ثم خلافكم للسلف ليس في هذا ، وإنما في أعمال الجوارح.

الشبهة الرابعة:

نحن نقر بأن الأعمال داخلة في الإيمان، ولكن هذا من باب المجاز ، والمجاز موجود في اللغة

والجواب:

لن نناقش في وجود المجاز في القرآن أم لا ، سلمنا لكم وجوده في القرآن في غير آيات الصفات ، ولكن هذا لا يصح بحال وسبب استحالته: أن الله ذكر الأعمال في القرآن وعلق عليها الإيمان بأدوات الشرط المعروفة في اللغة ، فمن ذلك:

قوله تعالى: *ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات* ووجه الاستدلال سبق معنا فلا داعي لإعادته تجنبا للإطالة وأنت ترى: أن هذا أسلوب شرط مكتمل الأركان ولا تصح دعوى المجاز في مثل هذا لأن المجاز لا يكون حقيقة بل قولك للطالب البليد: هذا حمار ليس هذا بحقيقة الحمار المعروف الذي يمشي على أربع ، ولكنك تعني اشتراكه معه في البلادة ..والله المستعان.

الشبهة الخامسة:

قالوا قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمه وهو على فراش الموت: *قل كلمة أحاجج لك بها عند الله*

والجواب:

أنتم قوم ضالون تتركون الآيات والأحاديث المحكمات ، وتتبعون ما تشابه واحتمل ، ومع هذا فالجواب هين وهو: أن قول النبي لعمه سبقه بيان حال الرجل ، وهو أنه دخل عليه وهو على فراش الموت ، وقد بدا أنه سيموت في مرضه ، هذا حالٌ لا يستطيع صاحبه أن يفعل شيئا من الأعمال لأنه في فراش الموت ثم هل تسلمون بلازم هذا القول الغريب؟ وهو: لم يذكر الرسول في قوله سوى الكلمة فقط فهل نقول: لا

يلزم اعتقاد القلب، فيقولها ولو كان منافقا؟ لا يقول بهذا أحد وسيكون الجواب: اعتقاد القلب مأخوذ من نصوص أخرى محكمة وهذا هو جوابنا أيضا عن الزيغ الذي اتبعتموه وتركتم المحكم فنقول: هذا حال لا يستطيع صاحبه أن يقوم بالعمل فيُكتفى منه بالقول فقط وهناك نصوص أخرى كثيرة يجب ضمها لهذا النص..والله المستعان

الشبهة السادسة:

حديث أسامة بن زيد أنه كان في غزوة فرفع السيف ليضرب رجلا فقال الرجل: *أشهد أن لا إله إلا الله* فقتله أسامة فعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم عتابا شديدا ، حتى قال أسامة: لوددت أني لم أكن أسلمت إلا اليوم فقال له: *أقتلته بعد أن قال لا إله إلا ٱلله * فقالوا: فاكتفى منه بقول الشهادة ولم يعتبر العمل شرطا.

والجواب:

هذا من جملة الزيغ الذي حذر منه ربنا *فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة* حديثنا معكم في رجل حي قادر على العمل وتركه والحديث المذكور ليس مما نحن فيه ، فإن أسامة رضي الله عنه أخطأ لأنه جاء في الحديث: *أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ..... وحسابهم على الله* وهذا معناه أنه يقبل منهم العلانية ويدع سرائرهم لله، فلا يبحث عما في قلوبهم، وهذا ما كان في الحديث فالرجل نطق بالشهادة فكان يجب الكف عنه ،والنظر في عمله بعد ذلك ،أيقوم بما أمر الله به أم لا؟ وأين بقية النصوص التي اشترط الله ورسوله فيها الله العمل؟!!!

الشبهة السابعة:

حديث معاوية بن الحكم السلمي أنه: صك جارية على وجهها –ضربها– ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ائتني بها فلما جاءه بها سألها النبي: *أين الله* فأشارت بيدها إلى السماء فقال: ومن أنا ، فقالت: أنت رسول الله فقال النبي: *اعتقها فإنها مؤمنة* فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بإيمانها بهذا فقط ولم يسألها عن العمل ، فالعمل غير داخل في مُسمى الإيمان ، هذا هو زعمهم الباطل ، وإليك رد باطلهم والله المستعان لنا أجوبة كثيرة بحمد الله.

الجواب الأول:

هل تسلمون بأن هذه الجارية لم تكن تؤمن بالملائكة؟؟؟؟ لم يسألها النبي عن ذلك !!

هل تُسلمون بأن هذه الجارية لم تكن تؤمن بالبعث بعد الموت، ولا القدر؟؟؟؟ لم يسألها النبي عن ذلك!!

إن رضيتم بهذا كفرتم؟! وإن لم ترضوا به فأنتم مُلزمون بالقول بأن النصوص الأخرى تدل على اشتراط أشياء أخرى لم تأتِ في الحديث المذكور وهم مضطرون إلى اختيار الثاني وهذا جوابنا أيضا فإن الأدلة القطعية في الكتاب والسنة تدل على خلاف ذلك .

الجواب الثاني:

أن الله أخبر في كتابه أنه جعل في القرآن محكما ومتشابها ليختبر عباده فيَظهر مَن في قلبه زيغ ، فيتبع المتشابه، ويترك المحكم نعوذ بالله من الزيغ قليله وكثيره وأنتم تركتم الآيات المحكمات التي سبق ذكر بعضها والتي جاءت على صيغة الشرط وهو تعليق الإيمان على التصديق والعمل جميعا وقد سبق بعضها فليرجع إليها، وزيادة عليها: قوله تعالى: *إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة* فقوله: مَنْ* اسم شرط والشرط تعليق أمر على آخر.

في الآية تعليق *فأولئك لهم الدرجات العلى* على *من تاب وآمن وعمل صالحا*

وأنت ترى أن الجنة لم تجعل لمن صدق فقط بل أدخل الله في الشرط التوبة والعمل الصالح وهذا تصريح وليس بلفظ محتمل *ولكني أراكم قوما تجهلون*

الجواب الثالث:

أخرج الحاكم: أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن عليي رقبة أفتجزئ عني هذه؟ فقال للجارية: من ربك؟ قالت: ربي الله

قال: فما دينك؟ قالت: الإسلام قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله ,قال: فتصلين الخمس وتقرين بما جئت به من عند الله؟ قالت: نعم فضرب على ظهرها ، وقال: اعتقيها , فهل تحملون المطلق على المقيد ؟!!!

الشبهة الثامنة:

نسلم بأن الأعمال شرط في الإيمان ، لكنه شرط كمال وليس شرط صحة

والجواب: هذا تمويه تحاولون به إخفاء بدعتكم المنكرة ولن نطيل في جواب هذه البدعة بل هو سؤال واحد أجيبوا عليه: في عهد أبي بكر رضي الله عنه تركت العرب دفع الزكاة، وهي من أعمال الجوارح فحكم الصحابة كلهم بكفرهم ، وقاتلوهم **فهل حكموا بكفرهم لأنهم تركو عملا هو في الحقيقة كمال في الإيمان مَن جاء به أُثيب ومن تركه فلا شيء عليه؟! ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.**

الشبهة التاسعة :

حديث: أنه سوف يذهب القرآن من الأرض حتى لا يُعرف من الإسلام شيء إلا : لا إله إلا الله *ويبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله ...فنحن نقولها* فقال صلة لحذيفة: فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة؟ فقال: يا صلة تنجيهم من النار فقالوا: فها هم لا يعملون شيئا، ودخلوا الجنة بقول لا إله إلا الله.

والجواب:

هذا بهتان ما أنزل الله به من سلطان فليس في الحديث أنهم لا يعملون إنما فيه:*لا يدرون*يعني: لم يبلغهم شيء من الشرع لأن القرآن سوف يُرفع من الأرض كما هو مُصرَح به في الحديث فهؤلاء القوم لم يسمعوا بالقرآن والسنة ولا بلغهم شيء من الشرع إلا لا إله إلا الله فكيف يحاسب الله تعالى قوما على شيء لم يبلغهم أصلا؟! ثم هذا الحديث حجة عليكم لا لكم وذلك لأن سؤال الراوي لحذيفة يبين قطعا أن الذي استقر عند السلف أنه لا إيمان إلا بعمل، وأن لا إله إلا الله لا تنفع صاحبها إلا بالعمل بدليل: أن صلة بن زفر تعجب من هذا ، وإنما غضب حذيفة من سؤاله لأنه لا ينبغي للمرء أن يقابل كلام النبي إلا بالتسليم وإذا أراد السؤال فبما يليق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله صلة هو ما عليه السلف فمن أين جئتم بدينكم؟!

الشبهة العاشرة:

ذكروا أحاديث الشفاعة وفيها: *يُخرج الله أقواما لم يعملوا خيرا قط*

والجواب: هذا من جنس السابق تتركون المحكم وتتبعون المتشابه ، وهذه آية الزيغ نعوذ بالله من الزيغ وأهله وبيان الحديث كالتالي: هذا اللفظ المذكور في الحديث من الألفاظ العامة لأن كلمة *خيرا* نكرة في سياق النفي يعني: كلمة نكرة جاءت بعد النفي والنفي هو *لم* لأنها أداة نفي ثم جاءت كلمة *خيرا* بعد النفي والكلمة النكرة بعد النفي تفيد العموم قال السيوطي: في النفي ذو تنكير العموما ****** وضعا وقال الحنفي لزوما

والعموم هو الشمول فهي شاملة لكل خير فهل تقولون بمقتضي ذلك؟ وهذا المقتضي: أنهم لم يعملوا خيرا أبدا لأن هذا لفظ من ألفاظ العموم ؟ سيكون جوابهم: نعم

وجوابنا:

يلزمكم أن تقولوا أنهم لم يعملوا بالتوحيد، ولا قالوا لا إله إلا الله لأن اللفظ عام فهل تقولون بهذا؟!! وإن أبيتم فقد لزمكم القول بأن هذا اللفظ العام مخصوص بنصوص أخرى وهذا عين جوابنا: فإن هذا الحديث عام مخصوص بالأدلة الأخرى ,بل هو عام أريد به الخصوص ابتداءً لو تعرفون الفرق! وهناك جواب آخر عنه: هناك حديث آخر يصف كيفية خروج هؤلاء القوم من النار وإليكم نصه *لعلكم تعقلون* :

* حتى إذا فرَغَ الله مِن القضاء بين العباد وأراد أن يُخرجَ برحمته مَن أراد من أهل النار، أمَر الملائكة أن يُخرجوا من النار مَن كان لا يشرك بالله شيئا ممَّن أراد الله أن يرحمَه ممَّن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأَثَر السجود تأكل النارُ مِن ابن آدم إلا أثرَ السجود* انتهى الشاهد الذي أردته كانوا يصلون!! لو كنتم تعقلون!!

وأنت ترى أن الذي يخرج من النار هو من كان يصلي ، ومن لم يكن يصلي فلن يخرج منها إذ تعرفهم الملائكة بذلك فلماذا لا تأخذون هذه الروايات فتضمونها إلى الروايات الأخرى لتعرفوا مراد الله ومراد رسوله؟ نعوذ بالله من الزيغ ولماذا تتبعون المتشابه وتتركون المحكم الذي تكرر في الكتاب والسنة ، وهو واضح لا يحتمل معنيين؟ الله المستعان.

الشبهة الحادية عشر:

استدلالهم بحديث: (من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة)

قال عليه الصلاة والسلام:(من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة).

افترق الناس في هذا الأثر على قولين:

القول الأول: أن قول القلب واللسان كاف في دخول الجنة، ولو لم يعمل القائل خيرا قط.. وهذا قول المرجئة الفقهاء..

والغلاة منهم وهم الجهمية قالوا: لو صدق بقلبه أو عرف الله فذلك كاف في دخول الجنة، ولو لم ينطق بالشهادة، ولو لم يعمل خيرا قط، قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا تنفع مع الكفر طاعة.. هذا القول انتشر بين المسلمين في العصور المتأخرة حتى طغى وانتشر.

القول الثاني القائل: أن القول (قول القلب واللسان) وحده ليس كاف في دخول الجنة، بل لا بد من العمل (عمل القلب والجوارح).. وهذا قول السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين..

ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن ما قاله السلف الذين هم أتباع وأصحاب النبي هو الصواب، لكن السؤال هنا:

كيف نجيب عن الحديث الآنف، الذي يصرح بأن النطق بلا إله إلا الله يدخل الجنة؟..

الجواب:

قيل: إن ذلك كان قبل نزول الفرائض، في أوائل الدعوة في مكة..

وقيل: هو في حق من قالها فمات بعدها موقنا بها دون أن يتسنى له العمل..

وكان في هذا الجواب رد على المرجئة، غير أنه لا يعني أن السلف كانوا يظنون أن الإيمان قبل نزول الفرائض كان مجردا عن العمل، مقتصرا على تصديق القلب واللسان..

فهذا ما لا يجوز أن يظن بهم وهم أعرف الناس بمعنى لا إله إلا الله وأعلمهم بالواجب الثقيل الذي تلقاه المؤمنون الأولون قبل نزول الفرائض..

إن شهادة التوحيد في أول الدعوة لم تكن كلمة تقال باللسان فحسب، ولا يمكن أن تكون كذلك في أي وقت من الأوقات، وإلا فما معنى تلك المعاناة القاسية التي واجهها الصحابة الأولون وما موجبها؟..

إنما كانت هذه الشهادة نقلة بعيدة، ومعلما فاصلا بين حياتين لا رابطة بينهما، حياة الكفر وحياة الإيمان، وما يستلزم ذلك من فرائض ومشقات أعظم من فريضة الصلاة والزكاة ونحوها.

من ذلك: فريضة التلقي الكامل عن الله ورسوله، ونبذ موازين الجاهلية وقيمها وأخلاقها وأعرافها وتشريعاتها..

ومن ذلك: الولاء المطلق لله ورسوله، والعداء الصارم للكفار، ولو كانوا آباء أو إخوانا أو أزواجا أو عشيرة..

ومن ذلك: فريضة الصبر على الأذى في الله، التي لا تطيقه إلا نفوس سمت إلى قمة حمل الواجبات الثقيلة..

وهذا ونحوه هو ما كان يعانيه بلال وهو يسحب في رمضاء مكة وتلقى عليه الأثقال. . وما كان يكابده سعد وهو يرى أمه تتلوى جوعا، فيقسم لها لو أن لها مائة نفس فتظل تخرج نفسا نفسا حتى تهلك لما رجع عن دينه... وما كان آل ياسر يلقونه من عذاب وغيرهم..

إن في إمكان الإنسان أن يصلى ما شاء وينفق ما شاء دون أن يناله كبير مشقة، ولكن: أي إنسان هذا الذي يستطيع أن يخالف عادة اجتماعية درج عليها المجتمع والأقارب أجيالا، ويتحدى هؤلاء بمخالفتها؟.. أو يستطيع أن يقلع عن عادة نفسية وصلت به حد الإدمان؟..

فما بالنا إذا كان الأمر ليس مجرد مخالفة عادة أو تقليد، وإنما هو منابذة تامة لكل عبادة جاهلية وقيم بالية وشريعة جاهلية، ثم هو مع ذلك زجر للنفس وقطع لشهواتها ومراقبة شديدة لها؟.

ولذا رأينا نماذج كثيرة خلاف تلك النماذج التي ضربت صورا رائعة للصبر على الأذى، فور نطقها بالشهادة ترجع إلى بيتها لتحطم الأصنام وتقطع العلائق بكل وثن كانت تعبده، وتتهيأ لحمل ما يرد عليها من أوامر إلهية.

فلم يكن الأمر أذن مجرد نطق ولو كان معه تصديق..

حتى على المنطق الجاهلي لا يصح أن نتصور الإيمان بدون عمل، وشهادة بلا أثر في واقع الحياة.. وإلا لم كان الجاهليون يقتلون مواليهم ويعذبون أبناءهم وإخوانهم ويقطعون أرحامهم؟.. ألمجرد كلمة تقال باللسان أو نظرية لا تعدو الأذهان؟..

إن كل إنسان كان يسلم في تلك الفترة كان يعلم أن نطقه بالشهادة توجب عليه الانخلاع من كل عبادة والإقبال على عبادة الله وحده، وذلك وحده فيه من العمل والصبر الشيء الكثير، خاصة في تلك الظروف التي كان فيها الإسلام ناشئا، وليس للمسلمين سند ولا قوة ولا أرض ولا دولة..

نعم لم تشرع الفرائض حينذاك، لكن البذل كان أكثر بكثير من مجرد الصلاة والصيام والحج والزكاة، إنهم كانوا مأمورين بالتسليم لله تعالى، وقبول ما يأتي عنه، والقيام بهذا الدين وحمله وتبليغه إلى البشر، وكفى بذلك حملا ثقيلا وعملا خطيرا..

{يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا }..

أفيجرأ أن يقول إنسان بعد ذلك: إن لا إله إلا الله وحدها، هكذا بالنطق دون عمل، تكفي في دخول الجنة، يستشهد على ذلك بالأثر؟.. إن من يظن ذلك فقد غلط غلطا بينا، وارتكب خطأ فاضحا.. إن هذا الدين دين العمل، وإن الله تعالى سمى العمل إيمانا، فقال تعالى:

{ وما كان الله ليضيع إيمانكم} أي صلاتكم إلى بيت المقدس، كما جاء في صحيح البخاري، نزلت فيمن كان يصلي إلى بيت المقدس ومات قبل أن يدرك الصلاة إلى الكعبة..

ولو كان هذا الدين يقوم على النظرية والكلام وحده دون البذل والصبر وتحمل الأذى في إنكار المنكر والأمر بالمعروف وتبليغ الدعوة إلى الناس وجهاد من عاند واستكبر لما وصل إلينا..

وقد حفظ الله المسلمين الأوائل مما وقع فيه الأواخر، الذين اعتقدوا عدم وجوب العمل، وعدم ضرر المعصية على الإيمان، فضاع إيمانهم فركبهم الأعداء وتسلطوا عليهم..

لقد كانت الجاهلية في أعتم صورها رابضة على قلوب البشر، ففارس تحكم الشرق، والروم تحكم الغرب حكما استبداديا، والأمم الباقية تعيش حياة البائهم يحكمها قانون الغاب، وكم من مصلح أراد أن ينبه قومه إلى خطر ما هم فيه من ظلم وعتو، لكن كلماته ما كانت لتتجاوز الآذان.. فهذا قس بن ساعدة يقوم في الناس خطيبا مذكرا لهم بالموت، لكن من الذي كان يتعظ بكلامه؟..

وهل كان قس يعمل لذلك حتى يكون لكلامه أثر؟.. وقد وجد بعض الصادقين الذين ينشدون الحق إلا أن الأمر كان أكبر منهم، فإن الأرض بلغت في الظلمة غايتها، وقد جاء في الأثر: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)..

حتى انقطع أمل المتحنفين في إصلاح ما فسد من ملة إبراهيم، فمنهم من اعتزل، ومنهم من هام في البراري، كزيد بن عمرو، ومنهم من تنصر، كورقة بن نوفل، والكل ينتظر الفرج ، فأرسل الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، فكان أول ما أمر به القراءة باسم ربه:

{اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم}..

أمره بالعلم الذي بغيره لا يأتي العمل، وفي الثانية أمره بالعمل فقال: { يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر}.. فابتدأ بالعلم والعمل، فدل على أن هذا الدين دين العلم والعمل.. وما كان يخطر ببال الصحابة أن النطق أو التصديق كاف دون العمل ، لذا ما سأله أحد إن كان يكفيهم النطق بالشهادة، فحملوا الأمانة الثقيلة، وقاموا بها، وتركوا راحتهم ومتاعهم وبيعهم جانبا، ورصدوا أنفسهم للقيام بتبليغ هذا الدين، بالقرآن لمن قبل، وبالسيف لمن أعرض..

فلم تمض عقود طويلة حتى صار الإسلام هو الذي يحكم الأرض، فانحسر الظلم والطغيان وحل محله النور والعدل، وتحقق ما كان قد يئس منه المتحنفون، فهل كان ذلك يكون لو أن تلك الفئة المؤمنة فهمت أن الدين يكفي فيه النطق والتصديق المجرد عن العمل؟..

في معركة أحد، خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقاء في أمكنتهم، وتطلعت نفوس بعضهم إلى الغنائم، فكان ذلك نذير شؤم وسبب هزيمة وخسارة بعد نصر..

فما بالك بأمة تلقي كتاب ربها وراء ظهرها، وتعبد الدرهم والدينار، ولا يخطر على بالها الجهاد قط، وتستحل كثيرا من المحرمات التي لا خلاف في حرمتها، كالربا وموالاة أعداء الله، ولا تحكم بشرع الله تعالى، ثم مع ذلك تحسب نفسها مؤمنة حق الإيمان لأنها تصدق بقلوبها وتقر بألسنتها؟ ..

{ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا * ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا}...

إن من الأخطاء التي لا زالت تعصف بالأمة إلى اليوم ربوض الفكر الإرجائي على عقول كثير من المسلمين، فمنهم من لا يرى وجوب الانقياد لله تعالى في كل أموره، ولا يرى أن إيمانه يتضرر بفعل شيء من المعاصي، وهو مع ذلك يتطلع إلى مغفرة الله تعالى..وما دام هذا الفكر جاثما على صدر هذه الأمة فإن آمال النصر والتمكين بعيدة، حتى ترجع إلى سيرة الأولين، تلك الفئة المؤمنة الأولى التي انتشر وعز الإسلام على يديها، فتعمل كما كانت تعمل، حينذاك ينصرها ويمكنها في الأرض..

جاء في تفسير قوله تعالى :

{ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين }...

أن رجلا من المهاجرين حمل بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، فقال ناس: " ألقى بيده إلى التهلكة ".. فقال أبو أيوب الأنصاري: " نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجيا، فقلنا: قد وضعت الحرب أوزارها، فلو رجعنا إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم، فنزل فينا، فذكر الآية"...فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.. تفسير ابن كثير بتصرف

فقد كان ترك هذا العمل العظيم سببا في الهلاك، ولولا أن العمل ركن في الإيمان لما استوجبوا الهلاك..ولما تركت الأمة هذه الشعيرة العظيمة سلط عليها الذل والهوان، ولن ينزعه عنهم حتى يرجعوا إلى إيمانهم الصحيح ويعظموا العمل كما يعظمون النطق بالشهادة.

الشبهة الثانية عشر : استشهادهم على ما ذهبوا إليه بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، والذي اشتهر بحديث البطاقة، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يصاح برجل من أمتي يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل هل تنكر من هذا شيئاً فيقول: لا يا رب فيقول أظلمك كتبتي الحافظون ثم يقول ألك عندنا حسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى

إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم, فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السلجات وثقلت البطاقة)) .

قال محمد بن يحيى – شيخ ابن ماجه – (البطاقة: الرقعة. وأهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة).

احتج بعضهم بهذا الحديث على أن النجاة من النار يوم القيامة تكون باعتقاد القلب، ونطق اللسان، وإن خلا العبد من أي عمل من أعمال الجوارح.

والجواب عن ذلك من خمسة أوجه:

الوجه الأول: لابد من حمل هذا الحديث على من قالها مع النجاة من الشرك، وإلا فإنه لو قالها مع الشرك بالله تعالى لم تنفعه، – وهم متفقون مع أهل السنة في ذلك –. قال الله تعالى لخير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر: 65].

وهذا فهم من النصوص الأخرى غير حديث البطاقة، ومثله يقال في أعمال الجوارح، علماً بأن بعضها ركن في الإيمان، وبعضها من كماله الواجب وبعضها من تمامه المستحب.

فلابد من جمع النصوص وضم بعضها إلى بعض...

الوجه الثاني: يقال لهم: أنتم توافقونا في أنه لابد من تصديق القلب الذي لا يصح إيمان قائل (لا إله إلا الله) إلا به، وهذا لم يذكر في حديث البطاقة أيضاً، ولكنه مأخوذ من الأدلة الأخرى، فلابد من حمل الحديث على حالة خاصة.

الوجه الثالث: قولكم: (يكفي الاعتقاد والتلفظ للنجاة من الخلود في النار) لازمه أن تخرجوا عما أجمع عليه أهل السنة من أن الإيمان (قول وعمل واعتقاد)، إلى القول بأنه: (قول واعتقاد) فقط، أو القول بأنه: (قول وعمل واعتقاد، ولكن الأعمال شرط في كماله). وهل الأول إلا قول المرجئة، وهل الثاني إلا قول الأشاعرة والذين كم حذر السلف من بدعتهم؟!! .

الوجه الرابع: لابد لمن أتى بـ (لا إله إلا الله) أن يقولها عن صدق ويقين وإخلاص، وكذا باقي الشروط المعروفة. وهذا أيضا لم يرد في الحديث، ولكنه فهم من النصوص الأخرى.

الوجه الخامس: ليس في الحديث أن صاحب البطاقة المذكورة لم يأت بصلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج، بل فيه ما يدل على خلافه وأن الرجل المذكور له حسنات ، ففي الحديث يقول الله عز وجل: ((بلى، إن لك عندنا حسنات)) ، أما المحو بهذه البطاقة فإنه للكبائر .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فالمحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال، وأكثر الناس يقصرون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم. فالسعيد منهم من يكتب له نصفها، وهم يفعلون السيئات كثيراً؛ فلهذا يكفر بما يقبل من الصلوات الخمس شيء، والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر، كما في الترمذي وابن ماجه وغيرهما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقال هل تنكر من هذا شيئاً فيقول لا يا رب، فيقول: لا ظلم عليك، فتخرج له بطاقة قدر الكف، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، فيقول: أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع هذه البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات)) .

فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة). ا هـ .

هذه أهم الشبه التي وقفت عليها ومَن فهم هذا استطاع رد بقية شبهاتهم -إن شاء الله- إذ هي من جنس واحد .

نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الحق وأن يعيذنا من الزيغ.. *ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة* وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

د. عبد الله القرشي الشامي

1437هـ